محاضرة

وجاء شهر رمضان

فضيلة الشّيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعدُ .. أيُّها الإخوة ..

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إنّها ساعةٌ طيِّبة نجتمعُ فيها في بيتٍ من بيوت الله لنتذاكر جميعًا أمرًا عظيمًا وموْسمًا كريمًا نستقبله جميعًا، ونسألُ الله –جلّ وعلا– أن يُبلِّغنا وإيَّاكم ذلك الموسم علىٰ خيرٍ وإيمانٍ وأمنٍ وطاعةٍ لله جلّ وعلا.

وأيُّها الإخوة.. إنَّ مثل هٰذا الجلوس في بيوت الله لتذاكُر أمور الدِّين عمومًا وتذاكُر مواسم الخير التي يستقبلها المؤمنون لا شكَّ أنّ مثل هٰذا الاجتماع من الأمور المهمّة التي ينبغي أن تحظىٰ بعنايتنا واهتمامنا لِمَا يترتَّب علىٰ ذلك من العوائد الكريمة والخيرات العظيمة والمنافع الجمَّة التي لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ.

وقد جاء في «صحيح مُسلم» أنّ النَّبيﷺخرج علىٰ أصحابه يومًا وهم جلوسٌ في المسجد يتذاكرون فقال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**ما أجلسكم؟**» قالوا: جلسنا نذكر اللهَ ونحمده علىٰ ما هدانا للإسلام، فقالعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**آلله ما أجلسكم إلَّا ذاك؟**» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، فقالعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أمَا إنِّي لم أستحلفكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريل فأخبرني أنّ الله ﷻ يباهي بكم ملائكته**».[1]

فهٰذه –أيُّها الإخوة– إشارة عظيمة لمن أكرمه الله تعالىٰ ومنّ عليه بحفظ وقته في مثل هٰذه المجالس التي تُعقَد في بيوتِ الله التي أَذِن الله –جلّ وعلا– أن تُرفَع ويُذكَر فيها اسمُه.

ومثل هٰذه المجالس المباركة لابدَّ للمسلم أن يصبر نفسَه عليها، وأن يقتطع لها من وقته؛ حتىٰ يستفيد وينتفع، وإلَّا إذا كان لاهيًا منصرفًا منشغلًا مُكِبًّا علىٰ أمور دُنياه التي لا تنتهي فلا يتهيَّأ له معرفة

---

(١) أخرجه مسلم رَحِمَهُ اللهُ (ح٢٧٠١) من حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الخير ومعرفة أبواب الخيْر ومعرفة السُّبل التي يصل من خلالها إلىٰ الخيْر وإلىٰ ما يُرضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وفي مثل هـٰذه المجالس يتمُّ التَّوجيه وتأتي الموعظة وتحصُل الذِّكرىٰ ويأتي إيقاظ القلب والضَّمير والتَّوجيه إلىٰ الخيْر وأبواب الخير فينتفع النَّاسُ ويستفيدون فوائد عظيمة.

أمّا الموضوع الذي جلسنا لأجله واجتمعنا من شأنه فهو عن **إقبال شهر رمضان.**

وكما تعلمون أنَّه قد بقِيَ علىٰ دخول هـٰذا الشَّهر المبارك أيامٌ معدودة وأوقاتٌ قلائل، ثم يُضِلُّ ويُطلُّ هـٰذا الشَّهر بخيراته العميمة وأفضاله الكريمة وبركاته المتوالية.

فشهرُ رمضان قد أقبل، وإقباله لدىٰ المسلمين له شأنٌ عظيم ووقعٌ كبير في نفوسهم؛ لأنّهم يتشوّقون مجيئه ويتطلَّعون إلىٰ قدومه ويتباشرون عند دُنوِّه ويفرحون به إذا دخل فرحًا عظيمًا؛ لِمَا يعلمونه عن هـٰذا الشَّهر وهـٰذا الموسم العَظيم المبارك من الخيْرات العظيمة والخصائص الجَليلة التي تميَّز بها هـٰذا الشَّهر واختُصّ بها من بين سائر الشُّهور، فالمؤمنون يفرحُون بمَقْدَمِه فرحًا عظيمًا، ومن أكرمه الله -جلَّ وعلا- وفسح في أجَله ومدَّ في عمره ليصِل ويبلغ هـٰذا الشَّهر الكريم فهـٰذه منّة عظيمة علىٰ العبد حيث فَسَحَ له في أجله ومدَّ له في عُمره ليشارك النَّاس هـٰذا الموسم العظيم المبارك؛ موسم الطَّاعة والإيمان والتقرُّب إلىٰ الرَّحمـٰن ﷻ.

وقد جاء في السُّنة الصَّحيحة أنّ النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كان يبشّر أصحابه بقدوم هـٰذا الشَّهر، فقد جاء في الحديث أنَّ النَّبيﷺكان يقول لأصحابه: « **هـٰذا رمضان قد جاءكم، فيه تُفتَّحُ أبوابُ الجنَّة وتُغلَق أبواب النَّار وتسلسل الشَّياطين** ». [(١)]

« **هـٰذا رمضان قد جاءكم** » أي إنّ هـٰذه بشارة لكم وتهنئة لكم، وإخبارًا بأمر عظيم حصل لكم؛ وهو أنَّ رمضان قد جاءكم، جاءكم وأنتم تتمتَّعون بالصِّحة والعَافية، وتنعمُون بالأمْن والإيمان والسَّلامة والإسلام.

« **هـٰذا رمضان قد جاءكم**» شهرٌ هو موسمٌ عظيمٌ لكم للإقبال علىٰ الله ولمحاسبة النَّفس وللقيام بطاعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وللبُعد عن الأمور التي حرَّمها الله جلَّ وعلا.

«**هـٰذا رمضان قد جاءكم**» هـٰذه الكلمة من النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فيها تحريكٌ للقلوب

---

(١) أخرجه النَّسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ح٢١٠٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لتستشعر قيمة هـٰذا الشهر ومكانته وعظيم منزلته «**هـٰذا رمضان قـد جـاءكم**»؛ أي فتهيّئـوا لـه واسـتعدُّوا لمجيئه واستقبلوه بأحسن استقبال وضيِّفوه بأحسن ضيافة.

«**هـٰذا رمضان قد جاءكم**» هـٰذه حقيقة تفتح للإنسان استعدادًا وتهيُّؤًا لهـٰذا الموسم الكريم.

ودائمًا يبشِّر النَّاسُ بعضهم بعضًا بقدوم أو إقبال الأمور المهمَّة والأمور العظيمة ليتهيَّؤوا لهـٰذا الأمـر وليستعِدُّوا له.

وشهر رمضان هو في الحقيقة ضيفٌ كريمٌ ووافِدٌ عزيز، عزيزٌ علىٰ نفسِ كلِّ مؤمن، وكلُّ مؤمن يفـرح بهـٰذا الضَّيف، يفرح به فرَحَه بأعظم ضـيف وأكـرم وافـدٍ عليـه، أرأيـتم الشَّـخصَ الكـريم الـذي يتمتَّـع بالسَّخاء والجُود والبذل والعطاء عندما يقدُم عليه ضيفٌ عزيز -عزيزٌ القدر عالي المكانة رفيع الشَّـأن-، عندما يقدم عليه ضيفٌ هذا شأنه كيف يكون استقبالُه له؟ وكيف يكون فرحُه به؟ وكيـف تكـون ضـيافته له؟

فشهرُ رمضان قد جاء، هـٰذا الضَّيف العزيز «**هـٰذا رمضان قد جـاءكم**» أي فتهيّـؤوا لضـيافته، تهيّـؤوا لإكرامه، تهيّؤوا للقيام بحقِّه، هيِّئُوا أنفسَكم لذلك؛ لأنه كما أنه يأتي سريعًا يذهب سريعًا ويمضي فتهيَّـؤُوا له، وأعِدُّوا أنفسكم للقيام بالأعمال الجليلة والطَّاعات النَّبيلة والعِبادات التي يسـرُّكم أن تلقَـوا ربَّكـم – تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بها؛ «**هـٰذا رمضان قد جاءكم**».

أيُّها الإخوة.. شهر رمضان ينبغي علىٰ المسلم أن يُحسِن استقبالَه، وهو -كما قدَّمتُ- ضـيفٌ ينبغـي أن يُستقبَل استقبالًا يليق به، فينبغي علىٰ المسلم أن يُحسِن استقبالَ هـٰذا الضَّـيف، وهنـا يتفـاوَتُ النَّـاس تفاوتًا عظيمًا في كيفية استقبالِ هـٰذا الشَّهر.

- **ففئةٌ من النَّاس** يستقبلون هـٰذا الشَّهر بالإقبال علىٰ الأسواق إقبالًا شديدًا ليشتروا أصـناف الأطعمـة وأنواع المأكولات وأطايب المطاعِم؛ فيتسابقون علىٰ الأسواق ويشـترون أطعمـة ومـأكولات بكميَّـاتٍ هائلة وكأنهم يستقبلون شهر أكل وشرب وتناولٍ للطَّعام، فيشترون شراءً متزايدًا، حتىٰ إنّ التَّسوُّق وشـراء الأطعمة يزيد في رمضان من النّاس ومن كثيرٍ من الأُسَر عن حاجاتهم وعن الأمور التـي تكفـيهم، ولهـذا بعضُهم ولاسيما أهل الإسراف تجدُه يُبذِّر تبذيرًا مَشينًا ويضـع علـىٰ مائدتـه وسُـفْرته أنواعًـا كثيـرة مـن الأطعمة كثيرٌ منها يُلْقيها وإنما يأكل منها شيئًا قليلًا؛ فهذا قسمٌ من النَّاس.

- **وقسمٌ آخر**؛ إذا أقبل شهر رمضان هيؤوا لأنفسهم أدوات اللَّعب واللَّهو والضَّياع، وهيؤوا لأنفُسـهم أمورًا يشغلون أوقاتهم، الأوقات الثَّمينة في شهر رمضان بضياعٍ وتشرُّدٍ وتبـذيرٍ للأوقـات وإسـرافٍ فيهـا

وإضاعةٍ لها فيما لا فائدة فيه؛ بل في كثيرٍ من الأحيان فيما فيه مضرَّة محقَّقة.

ويهيئون لرمضان مثل هـٰذه الأمور ويستعدون استعدادًا تامًّا قبل مجيء رمضان بمثل هذه الأمور .

– **وهناك آخرون منَّ الله** عَزَّوَجَلَّ عليهم بتوفيقه وكلأهم برعايته وأحاطَهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعنايته؛ فأخـذُوا يهيِّئـون أنفسهم لرمضان، فهو تكثُر أمامَه الخواطر، ويدور في خَلَـدِهِ صنوفًا كثيـرةً مـن الخيْـرات؛ فيبـدأ يرتِّـب للقرآن وقته، ولذكر الله وقته، ولقيام اللَّيل وقته، ولمساعدة المحتاجين وقته، وللبذل وقتـه، ولمجـالس العلم وقتها فتتزاحم عليه.

– **بعض النَّاس لَيرىٰ** أنّ الشهر يضيق عليه، عنده مشـاريع كثيـرة وأعمـال عديـدة ومجـالات واسـعة للقيام بطاعة الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– لكنَّ الشَّهر يضيق عليه لا يتَّسع لما عنده من أبواب الخير.

– **وهناك أناس يتعاملون** مع شهر رمضان تعاملهم مع كلِّ شهر؛ فيمضـي علـيهم شـهر رمضـان كمـا تمضي عليهم بقيَّة الشُّهور، حتىٰ إنَّ اللّيلة التي جاء في القرآن أنها خيرٌ من ألف شهر تمضي علىٰ كثير مـن النَّاس مُضِيَّ سائر اللَّيالي، وهـٰذه خسارة فادحة وغُبْنٌ بيِّن وإهـدارٌ لمـا لا يليـق بالمسـلم أن يُهـدِره وأن يُضيِّعه، ولهـٰذا ينبغي علىٰ المسلم أن يُحسِن استقبال هـٰذا الشَّهر، وأن يُحسن ضـيافته، وأن يُهيـئ نفسـه لأن يكون من أهل هـٰذا الشهر صِدقًا وحقًّا « **هـٰذا شهر رمضان قد جاءكم، فيه تُفتَّح أبواب الجنّة وتُغلَّـق أبواب النّار وتُصفَّد مردة الشَّياطين**».

جاء في الترمذي[١] من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ إذا كان أول يوم من شـهر رمضـان كـان يقـول: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْـتَحْ مِنْهَـا بَاب، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَاب، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَـا بَـاغِيَ الشَّـرِّ أَقْصِـرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**» هكذا قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

فتأملوا أيُّها الإخوة..

تأمّلوا قول النَّبيِّ ﷺ: «**وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ** » أي أنك قد أقبلتَ واسـتقبلتَ موسـمًا للخيـر وموسمًا للطاعة؛ فأَقبِل عليه إقبالًا شديدًا، واحرص عليه حرصًا عظيمًا، وإيَّاك ثـمَّ إيَّـاك أن تضـيِّع علـىٰ نفسك هذه الفرصة العظيمة.

«**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ**» فهـٰذا موسم رابِحٌ للخير وتجارته رابحة، وإذا ذهب لا يعود، «**وَيَـا بَـاغِيَ الشَّـرِّ**

(١) (ح٦٨٢)، وابن ماجه (ح١٦٤٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أُقْصُرْ» لا يليق بمن يبتغي الشر أو تتحرك نفسه للشر أن يُتيح لها المجال أن تتمادىٰ في شرّها وأن تُسرِف في غيِّها وأن تستمر في ضلالها في هـٰذا الموسم الكريم المبارك.

ولهذا أيُّها الإخوة..

بناءً علىٰ ذلك أقول: إنّ من لم تتحرك نفسه للإقبال علىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- والتّوبة والنّدم، إذا لم تتحرك نفسه عندما يُقبِل مثل هـٰذا الموسم الكريم فمتىٰ تتحرك نفسُه؟!

إذا لم تتحرك مشاعره للخير وللإقبال علىٰ الخير في مثل هـٰذا الموسم العظيم، فمتىٰ تتحرك؟!

«**يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ**» فأمامك موسم الخير؛ بل أمامك أعظم مواسم الخير، « **وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أُقْصُرْ**» فأنت مُقبِل علىٰ موسم مبارك، وعلىٰ شهر كريم، وعلىٰ وقتٍ يتنافس فيه المتنافسون في طاعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- والجدّ في عبادته.

ثمَّ قوله-عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**ولله عتقاء من النّار وذلك في كلِّ ليلة**» أي أنّ الله -جلّ وعلا- كل ليلةٍ من ليالي هـٰذا الشّهر الكريم يُعتِق أناسًا من النار ، فيكونون في تلك الليلة عتقاء لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من نار جهنم، والمسلم تتوق نفسه أن يحظىٰ بهـٰذه المنزلة الرَّفيعة والدَّرجة العالية؛ وهو أن تُعتَق رقبته من النار-أجارنا الله وإياكم من النَّار- فالمسلم تتُوق نفسه أن يكون من عتقاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- من النار وهـٰذا الشهر الفضيل موسم في كلِّ ليلة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عتقاء من النار.

أحيانًا يُعلَن في بعض الأماكن عن مسابقات وجوائز ويُجعَل لكلِّ يوم جائزة إمّا ألف ريال أو أكثر أو أقل وترَون النّاس عليها في هلعٍ شديد وإقبالٍ متزايد، كلُّ واحدٍ يُقدِّم ويبذل ويُجهِد نفسه ليُحصِّل مع من يُحصِّل ألف ريالٍ أو أقل أو أكثر وليكون من الفائزين، لـٰكن ما يتعلَّق بالفوز بالآخرة وبالفوز يوم القيامة، وبأجر يوم القيامة تقلُّ الرَّغبة، وتضعُفُ الهمَّة، وتقصُر إرادة النَّاس عن مثل هـٰذا الأمر الكريم.

وإلَّا فإنَّ اللَّائق بالمُسلم عندما يسمع قول النَّبيﷺ: «**لله عُتقاء من النَّار**» اللَّائق به أن يتشوَّف لذلك ويحرص علىٰ أن يكون من هؤلاء ويُجدَّ ويجتهد، ويسأل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أن يُعتق رقبته من النَّار ويُقبِل علىٰ الله-جلّ وعلا-ليحظىٰ بهذا الموعُود الكريم، ولينال هذا الأجر العظيم ، ولله عُتقاء في كلّ ليلة من ليالي هـٰذا الشهر.

وقد جاء في حديث آخر أنّ النَّبي-عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-وصف هذا الشهر بأنه شهر الصَّبر قال عَلَيْهِ

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**صيام شهر الصَّبر وثلاثة أيَّام من كلِّ شهر؛ صيام الدّهر**»[١] هكذا قال، فوصفه بأنَّه شهر الصَّبر، ومعنىٰ ذلك أنَّ للمسلم فرصةٌ عظيمة في هٰذا الشَّهر الكريم أن يُروِّض نفسه ويُعوِّد نفسه علىٰ الصَّبر بأنواعه كلها:

* الصَّبر علىٰ طاعة الله.
* والصَّبر عن معصية الله.
* والصَّبر علىٰ أقدار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فهو موسم للصبر، والله جلَّ وعلا ﴿يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠﴾[الزمر]، وشهر رمضان موسم هو أعظم مواسم الصَّبر، فيبدأ المسلم من أوَّل يوم من أيَّام هٰذا الشَّهر المبارك يعوِّد نفسه علىٰ الصّبر؛ الصّبر علىٰ الطاعة، والعبادة، والذّكر، والقرآن، والصَّلاة، والصَّيام، وغير ذلك ممّا أمر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عباده به.

ويعوِّد نفسه علىٰ الصّبر عن معصية الله فيترك مألوفاته والأمور التي اعتادها من طعامٍ وشراب إلىٰ غير ذلك في نهار رمضان ويصبر علىٰ ذلك طاعةً لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

يعوِّد نفسه الصّبر علىٰ أقدار الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- المؤلمة؛ فيعيش في هٰذا الشَّهر صابرًا ثم يتخرَّج من هٰذا الشَّهر وقد تلقىٰ دروسًا عظيمةً في الصّبر واعتاد أبوابًا كثيرةً من أبواب الصَّبر، وبهٰذا يكون عائدةُ الشَّهر علىٰ الإنسان ليست في الشَّهر وحده وإنَّما تعود عليه بركات الشَّهر وخيرات الشَّهر عمره كلّه وحياته كلِّها؛ لأنَّه روَّض نفسه علىٰ الصَّبر وعوَّدها عليه وتعايش مع الصَّبر في أعظم مواسمه، وإذا كان المُسلم لا يتحلَّىٰ بالصَّبر في أعظم مواسمه؛ فمتىٰ يصبر؟! إذا كان لا يتحلَّىٰ بالصَّبر في أعظم مواسم الصَّبر وأعظم أبوابه ومجالاته؛ فمتىٰ يصبر؟!

ولهٰذا من الأمور المهمَّة التي ينبغي أن يعتني بها المسلم أن يعوِّد نفسه في هٰذا الشَّهر الفضيل علىٰ الصَّبر بأنواعه:

* الصَّبر علىٰ طاعة الله.
* والصَّبر عن معصية الله.
* والصَّبر علىٰ أقدار الله المؤلمة.

---

(١) أخرجه النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٢٤٠٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في الإرواء (٤/ ٩٩) تحت الحديث رقم (٩٤٥).

وقد جاء في حديث آخر عن النَّبي ﷺ أنّه وصف شهر رمضان بأنه شهر مبارك، قال ﷺ: « **شهر رمضان شهر مبارك فيه تُفتَّح أبواب الجنّة، وتُغلَّق أبواب النّار، وتُصفَّد مردة الشَّياطين** ».

والشَّاهد من الحديث وصْف النَّبي ﷺ لشهر رمضان بأنَّه مبارك، وبركة هـٰذا الشَّهر تتناول كل لحظة من لحظاته، وكلَّ ساعة من ساعاته من أوَّل دخوله إلىٰ أن يخرج، وكلُّ لحظة فيه مباركة، فيه بركات عظيمة، وخيرات عميمة، وأفضال كبيرة.

ومن بركات هـٰذا الشَّهر ما أخبر به النَّبي ﷺ في هـٰذا الحديث أنَّ «**أبواب الجنّة فيه تُفتَّح، وأبواب النيران تُغلَق، ومردة الشَّياطين يُصفَّدون**»، وهـٰذه بركة مختصة بهـٰذا الشَّهر لا تكون في غيره من الشُّهور.

أبوابُ الجنّة كلُّها تُفتَّح لا يُغلق منها باب في هـٰذا الشَّهر، وأبوابُ النّار كلُّها تُغلق لا يُفتح منها بابٌ في هـٰذا الشَّهر الفضيل، ومردة الشَّياطين يُصفَّدون؛ فلا يستطيع واحدًا منهم أن يَخلُصَ إلىٰ أحدٍ من النّاس كما كانوا يَخلُصون إلىٰ النّاس في غير هـٰذا الشَّهر ، وهـذه كلُّها بركات عظيمة تشحَذُ الهمم وتوقد العزائم وتُنشِّط النَّاس للإقبال علىٰ طاعةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولو أخذنا -أيُّها الإخوة- نتحدَّث عن خيراتِ هـٰذا الشَّهر وخصائصه، وفضائله، ومكانتِه لطال بنا الوقت؛ لكن لننتقل للحديث بعض الشَّيء عن: ماذا ينبغي علينا أن نستقبل به شهرَ رمضان؟ أو كيف يكون استقبالنا لشهر رمضان؟ وفي هذا الأمر أضعُ بين أيديكم نقاطٍ عديدة ومهمَّة جدًّا:

الأمر الأول:

ينبغي علينا أن نفرح بهـٰذا الشَّهر عند دخوله، أن نفرح به فرحًا عظيمًا وأن نُسَرَّ لمَقْدَمِه وأن يكون له في قلبنا مكانةً عالية ومنزلةً رفيعة، وأن نحمد الله -جلّ وعلا- علىٰ أن منّ علينا ببلوغه، فكم من إنسانٍ كبيرٍ وصغير، ذكرٍ وأنثىٰ شهِدوا شهر رمضان الذي مضىٰ والشُّهور التي قبله؛ ولكن انقطع بهم الأجل فلم يدركوا هـٰذا الشَّهر، وكانوا يتشوّفون لإدراكه، فيهم الشَّباب وفيهم الكبار، كانوا يتمنَّون لو أدركوا هـٰذا الشَّهر، ولا ندري ربمّا أنَّ بعضنا قد لا يدركه، وربّما أن بعضنا يدرك بعضه، لا يدري الإنسان، ولهـٰذا ينبغي أن يحرص المسلم إذا أكرمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ومنّ عليه ببلوغ هـٰذا الشَّهر أن يحرص علىٰ حمْد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وشكره علىٰ أن منّ عليه ببلوغ الشَّهر.

ولا شكَّ أنَّ بلوغك شهر رمضان وأنت في صحّة وعافية وسلامة وإيمان لا شكّ أنَّ هـٰذه نعمة عظيمة ومِنّة كبيرة ينبغي أن تَقْدُر قدرها وأن تعرف مكانتها.

وإنَّ من شُكرك لنعمة الله عليك في بلوغ هـٰذا الشَّهر العظيم أن تحرِصَ علىٰ الجد والاجتهاد في طاعة

الله فيه، بلَّغك الله إيَّاه؛ فاحرص علىٰ القيام بحق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فيه؛ من صيامٍ وقيامٍ وطاعةٍ وتقرُّبٍ لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وبُعدٍ عن الأمور التي حرَّمها الله جلَّ وعلا.

فهـٰذا الأمر الأول؛ أن نستقبل هـٰذا الشَّهر بالفرح والسُّرور والأُنس بذلك.

وقد كان من سنَّة النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أنه إذا رأىٰ الهلال، هلال أي شهر من الشُّهور يقول: «**اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**»[1] فإذا أكرمك الله ﷻ ودخلتَ هـٰذا الشَّهر الكريم ورأيت هلاله فتدعو بهذا الدُّعاء المأثور الذي كان يدعو به النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في كل شهر «**الله أكبر، اللَّهم أهلَّه علينا باليُمنِ والإيمان، والسَّلامة والإسلام، ربنا وربك الله**»، وهذا دعاءٌ عظيم، تسأل فيه ربَّك ﷻ أن يبارك لك في شهرك، وأن يمنَّ عليك فيه باليُمن والبركة والإيمان، والسَّلامة من الشرور، والقيام بحقوق الإسلام علىٰ الوجه الذي يُرضي الرَّبّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؛ فلا شك أن دخولك وبلوغك هذا الشَّهر نعمة عظيمة ينبغي أن تشكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عليها وأن تقدرها حق قدرها.

ثمَّ من الأمور المهمّة التي ينبغي أن نستقبل بها شهر رمضان المبارك أن نستقبله بتوبةٍ نصوح من كلِّ ذنبٍ وخطيئة، وكلُّنا -أيّها الإخوة- خطّاء، كلنا لابد وأن يكون قد بدر منا تقصير وإسراف وإضاعة وتفريط وإخلالٍ ببعض الأمور، وقد جاء في الحديث عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[2] فابن آدم لابد له من الخطأ والتَّقصير؛ لـٰكن خير الخطَّائين التَّوابون، وشهر رمضان موسمٌ عظيم للتَّوبة إلىٰ الله -جلَّ وعلا.

وكم من أناس كانوا مُسرفين في أمرهم، مضيِّعين لطاعة ربهم، مُقبلين علىٰ أمور كثيرة من المنكرات؛ لـٰكن لمَّا دخل عليهم هذا الشَّهر العظيم تحرَّكت نفوسهم للخير وأحسُّوا بأهمية الطاعة والإقبال علىٰ الله، ووُجِدَ في قلوبهم النَّدم علىٰ التَّفريط في طاعة الله؛ فتابُوا إلىٰ الله -جلَّ وعلا- توبةً نصوحًا، كم من أناسٍ حصلَت منهم التَّوبة النَّصوح التي لم يعودوا بعدها إلىٰ ما كانوا عليه في سالف أوقاتهم حصَلت لهم هـٰذه التوبة في هذا الشَّهر الفضيل وفي هذا الموسم الكريم.

وإذا كان المفرِّط المضيِّع المقصِّر لم تتحرَّك نفسه للتَّوبة إلىٰ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في مثل هـٰذا

---

(١) أخرجه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ح١٣٩٧) من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٤٩٩)، وابن ماجه (ح٤٢٥١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

الموسم فمتىٰ تتحرَّك نفسُه؟! إذا لم تهتزّ مشاعِرُه في مثل هـٰذا الوقت فمتىٰ تهتز؟! ولهذا شهر رمضان موسم كبير من مواسم التَّوبة إلىٰ الله جلَّ وعلا.

فلنستقبل هذا الشَّهر بتوبة نصُوح من كل ذنبٍ وخطيئة، والله -جلَّ وعلا- لا يقبل التَّوبة من عباده إلَّا إذا كانت نصوحًا، والتَّوبة النَّصوح لابد أن يتوفَّر فيها شروطٌ ثلاثة:

١-النَّدم علىٰ فعل الذُّنوب.

٢- والعزم علىٰ عدم العودة إليها.

٣-والإقلاع عنها تمامًا.

فبهـٰذه الشُّروط الثَّلاثة يقبل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- توبة العبد إذا تاب؛ أن يُقلِع عن الذَّنب تمامًا، وأن يعزم في قلبه وقرارة نفسه ألا يعود إليه أبدًا، وأن يندم ندمًا شديدًا علىٰ وقوعه في الذُّنوب، فإذا حصلت منه التَّوبة بهذه الشُّروط قُبِلت توبته.

ويُضيف أهل العلم لهـٰذه الشُّروط الثلاثة شرطا رابعًا إذا كان الذَّنب يتعلَّق بحقوق الآدميين كأن يكون أخذ منهم مالًا أو تعدَّىٰ علىٰ حقٍّ من حقوقهم أو نحو ذلك= فيُشتَرط في حق من كان كذلك شرطٌ رابع وهو:

٤- أن يعيد الحقَّ إلىٰ أهله أو يتحلّلهم منه؛ فمن كان مفرِّطًا مضيِّعًا مقصِّرًا متجاوزًا معتديًا أمامه هـٰذا الموسم العظيم المبارك ليتوب إلىٰ الله جلَّ وعلا.

ونسأل الله -جلَّ وعلا- أن يكرمنا وإيَّاكم بتوبة نصوح من كل ذنب وخطيئة.

ثمَّ من الأمور المهمَّة التي ينبغي أن نهتم بها في شهر رمضان أن نحافظ علىٰ الصِّيام الذي هو فريضة هـٰذا الشَّهر، والنّاس يتفاوتون في صيامهم تفاوتًا عظيمًا، ليسوا فيه علىٰ درجة واحدة، وإن كانوا جميعًا يشتركون في الإمساك عن الطعام والشَّراب وسائر المفطِّرات من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشَّمس هـٰذا قدرٌ مشتَرك بين الجميع، لكنَّهم يتفاوتون في تتميم صيامهم وتكميله والإتيان به علىٰ الوجه الأكمل الأتم يتفاوتون في ذلك تفاوتًا عظيمًا.

وقد سُئل -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في الحديث الصَّحيح: أيُّ الصَّائمين أعظم أجرًا؟ قال: «**أكثرُهم لله ذكرًا**»[1]، ومن المعلوم أنَّ الصَّائمين يتفاوتُون تفاوتًا عظيمًا في ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، وفي الإقبال

---

(١) أخرجه أحمد (ح١٥٥٥١)، من حديث معاذ بن أنس الجهني، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ح٩٠٦).

علىٰ الذِّكر، والإقبال علىٰ القرآن، والمحافظة علىٰ طاعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يتفاوتون في هذا الأمر تفاوتًا عظيمًا.

من النّاس من يسهر اللَّيل في إضاعةٍ للأوقات وتدميرٍ لها ثم إذا صلّىٰ الفجر -إن كان محافظًا علىٰ الصَّلاة- دخل في نومٍ عميق، وربّما إنّ بعضهم يُفوِّتُ صلاة الظُّهر في وقتها وصلاة العصر، فالنّاس يتفاوتون في صفة الصّيام تفاوتًا عظيمًا، ولهذا ينبغي علىٰ المسلم أن يحرص علىٰ تتميم صيامه وتكميله وملئِه بذِكر الله، والإقبال علىٰ طاعة الله، والمحافظة علىٰ تلاوة القُرآن، وحضور مجالس الخير، والجلوس في المساجد، وأن يجاهد نفسَه علىٰ ذلك مجاهدة عظيمة.

ومن الأمور المهمة؛ بل هي أهمُّ ما ينبغي أن يعتني به المرءُ في صيامه أن يُحقِّق قول النَّبي ﷺ: «**وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(١)] إيمانًا واحتسابًا هكذا ينبغي أن يصوم الإنسان، لا يصوم عادة لأنَّ أهله وإخوانه وزملاءه صاموا فيصوم، ولا يصوم أيضًا لكي لا يُنتقَد ويقال: مُفطِر، ولا يصوم مراءاة للنَّاس وحُبًّا لمدحهم وثنائهم، لا يصوم لشيءٍ من هٰذه الأغراض، وإنَّما يصوم إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بالله وإيمانًا بمَوْعود الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- للصَّائمين وأنّه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يوفِّيهم أجورهم بغير حساب، يصوم إيمانًا؛ إيمانًا بأن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فرض علىٰ عباده الصِّيام؛ فيصوم إيمانًا، ويصوم احتسابًا يحتسب صيامَه وأداءه لطاعة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- في هٰذا الشَّهر العظيم أجرًا وثوابًا عند الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، والصَّائمون لهم أجرٌ عظيم وثوابٌ جزيل عند الله -جلَّ وعلا-، وقد جاء في الحديث القدسي أنّ الله يقول: «**الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[(٢)]، وهٰذا يُبيِّن عِظَم ثواب الصَّائمين وكِبَر أجرِهم عند الله -جلَّ وعلا-، فينبغي علىٰ المسلم أن يحافظ علىٰ صيامِه أشدَّ المحافظة.

وفي الحديث الآخر يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**للصَّائم فرحتان: فرحةٌ عند فِطره، وفرحةٌ عند لقاء ربه**»[(٣)]، سيفرح الصَّائم فرحًا عظيمًا عندما يلقىٰ الله -جلَّ وعلا- يوم القيامة؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أعدّ للصَّائمين أجرًا عظيمًا وثوابًا جزيلًا؛ بل إنّ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- خصّص للصَّائمين بابًا يدخلون منه إلىٰ الجنّة يسمَّىٰ باب الرّيّان كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الثابت عن النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-،

---

(١) أخرجه البُخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح١٩٠١)، ومُسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح٧٦٠) من حديث أبي هرير ة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح١٨٩٤)، ومسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (ح١٩٠٤)، ومسلم رَحِمَهُ اللَّهُ (ح١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فنعتني بهٰذا الأمر من أوَّل الشَّهر إلىٰ نهايته، نصُوم إيمانًا واحتسابًا؛ إيمانًا بالله وبأنّه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أوجب علينا الصِّيام، واحتسابًا في نيل الثَّواب والأجر من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

احتسبْ كلَّ لحظة من لحظات رمضان وكلَّ وقت من أوقاته في نيل ثواب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وموعوده للصَّائمين القائمين المطيعين لله جلَّ وعلا.

ثمَّ أيُّها الإخوة..

من الأمور المهمّة التي ينبغي أن نعتني بها في شهر رمضان أن نكتسب منه وفيه ومن خلاله تقوىٰ الله جلَّ وعلا، وهٰذا من أهمِّ الأمور التي شُرِعَ الصّيام لأجله ؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة]؛ فبالصِّيام وأداء هٰذه العبادة يسلك المسلم مسلكًا عظيمًا وسبيلًا مباركًا يؤدِّي به إلىٰ تقوىٰ الله –جلَّ وعلا–، فالصِّيام فرصة لك لتتزوّد من زاد التَّقوىٰ ولتكون من المتَّقين.

والتَقوىٰ –أيُّها الإخوة– هي أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخاف عقاب الله. هٰذه هي تقوىٰ الله –جلَّ وعلا–، والصِّيام يؤدي بك إلىٰ هٰذا الأمر، والمحافظة علىٰ طاعة الله –جلَّ وعلا– في هذا الشَّهر تؤدِّي بك إلىٰ هٰذا الأمر، العمل بطاعة الله علىٰ نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معصية الله علىٰ نور من الله خوف عقابه ﷻ.

ولنقف –أيُّها الإخوة– قليلًا لنتأمل كيف أنّ الصّيام يحقق للعبد التَّقوىٰ ويتزوّد من خلاله بزاد التَّقوىٰ، المسلم علىٰ مدار العام وطول السَّنّة اعتاد في النَّهار علىٰ أمور أَلِفَها، اعتاد علىٰ تناول طعام الإفطار في الصَّباح، اعتاد علىٰ تناول طعام الغداء، اعتاد علىٰ أنواع من المشروبات أَلِفها اعتاد عليها كل يوم، أصبحت في أيَّامه أمرًا معتادًا مألوفًا، لكنّ هٰذه المألوفات التي اعتادها ما أن يدخل عليه شهر رمضان إلَّا ويتركها مع أنه معتاد عليها وقد ألفها تمام الإلْف؛ لٰكنه يتركها ويمتنع منها تمام الامتناع لا لشيء إلا لنيل ثواب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهٰذه تقوىٰ لله ﷻ، تجدُه يمتنع من الطَّعام ويمتَنع من الشَّراب حتىٰ ولو كان وحدَه لا يطّلع عليه أحدٌ من النّاس يكون أمامه طعامٌ يشتهيه وشرابٌ يريده لكنّه يمتنع منه، ولو أكل أو شَرِبَ لَمَا علِم به إلَّا الله ومع ذلك يمتنع طاعةً لله، وهذه تقوىٰ لله ﷻ، فهٰذا الذي يحصل من المسلم في نهار رمضان ينبغي أن ينمِّيه في حياتِه كلِّها مع كلِّ طاعة أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بها ومع كلِّ أمر نهىٰ الله –جلَّ وعلا– عنه، فأنت الذي امتنعت في نهار رمضان عن الطَّعام والشَّراب طاعةً لله ينبغي

عليك أن تمتنع عن كلِّ أمرٍ حرّمه الله عليك في كل وقتٍ وحين؛ فربُّ رمضان هو ربُّ الشُّهور كلِّها ﷻ، والذي يجب أن يُطاع في رمضان يجب أن يُطاع في كلِّ وقت ، فإذا كنت ملكْت نفسك وحبستها عن معصية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وتركْت مألوفاتك والأمور التي اعتدتها طاعةً لله -جلَّ وعلا- في نهار رمضان ينبغي عليك أن تعوِّد نفسك علىٰ القيام بهذا الأمر في كل وقتٍ وحين.

الامتناع عن الطَّعام والشَّراب وسائر المفطِّرات محلُّه شهر رمضان يعني محلّ وجوبه شهر رمضان من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، أمّا **الصِّيام والامتناع والإمساك عن المحرمات** فمحلُّه العمر كله، الصِّيام عن الأمور المُحرَّمة التي حرَّمها الله ﷻ؛ فهٰذا ليس مختصًّا بوقت دون وقت؛ بل هو واجبٌ علىٰ المسلم في حياته كلها، يجب علىٰ كلِّ مسلم أن يصوم عن الحرام في حياته كلِّها، في نهار رمضان تصومُ عن أمور مباحةٍ لك في غيره، تصوم عنها طاعة لله؛ لأنَّ الله ﷻ أمرك بذلك، واحتسابًا لنيل الثَّواب والأجر من الله سُبْحَانَهُ؛ لكنّ الصِّيام عن الحرام محلّه حياتك كلّها، يجب عليك طول حياتك أن تصوم عن كلِّ أمرٍ حرَّمه الله عليك، وأن تُجاهد نفسك مجاهدة تامّة للصِّيام عن كلِّ أمر حرَّمه الله عليك، فإذا اعتديت أو تجاوزت أو وقع منك شيءٌ من التَّقصير تدارَك نفسك بالتَّوبة والإنابة والرُّجوع إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولنتنبه -أيُّها الإخوة- هنا كيف أنَّنا نستفيدُ من شهر رمضان ومن الصِّيام في شهر رمضان نستفيد في تحقيق التَّقوىٰ لله ﷻ، حيث إنّ المرء -كما ذكرتُ- في نهار رمضان يمتنع عن أمور مألوفةٍ له اعتاد عليها تمام الاعتياد يمتنع عنها طاعة لله ﷻ، فلماذا لا يمتنع عن الأمور المحرَّمة التي حرَّمها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه في كل وقتٍ وحين؟!

وقد سُئل أحد السَّلف عن أقوامٍ يعبدُون الله ﷻ في رمضان، يحافظون علىٰ الفرائض، ويحافظون علىٰ الواجبات في رمضان، لكنّه إذا خرج رمضان تخلَّوا عن ذلك وضيَّعوه تمامًا؛ فقال : (بئس القوم لا يعرفون الله إلَّا في رمضان)، فالمسلم يجب عليه أن يكون مراقبًا لله مُحافظًا علىٰ طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في شهر رمضان وفي كلّ وقتٍ وحين، وهذا معنىٰ قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[البقرة] أيّ لتنالوا من خلال هذا الشَّهر الكريم ومن خلال محافظتكم علىٰ طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فيه لتنالوا من خلاله تقوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا -أيُّها الإخوة- شهر رمضان فرصة كبيرة وثمينة لنا جميعًا لنتزوّد من خلاله بزاد التَّقوىٰ، والله

جلَّ وعلا يقول : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[البقرة] ويقولُ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[الحجرات:١٣].

ففرصتنا الثَّمينة في هذا الشَّهر الكريم أن نتزوّد بزاد التَّقوىٰ، وأن نتخرّج من مدرسة رمضان متّقين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ متعوّدين علىٰ المحافظة علىٰ طاعة الله والقيام بأوامره ﷻ.

وإنَّك لتعجب غايةَ العجب من أناسٍ كثيرين إذا دخل رمضان ملؤوا المساجد وحافظوا علىٰ الصَّلوات، ثمَّ إذا خرج رمضان ودَّعوا ذلك أو ودّعوا أكثرَه، تُشاهد بعض الأحياء في بعض الأوقات مثل صلاة الفجر تجد الصَّف ما يمتلئ؛ لكن إذا جئتَ إلىٰ صلاة الفجر في نهار رمضان تجد صفين أو ثلاثة، فهل هؤلاء كانوا أموات ووُجِدوا في شهر رمضان؟

أو كانوا مسافرين ثمَّ جاؤوا في شهر رمضان، أم ماذا؟ لا يحافظون علىٰ صلاة الفجر مع الجماعة إلَّا في شهر رمضان! أين هم من المحافظة علىٰ هٰذه العبادة في الشُّهور كلها؟ ولهذا نقول: فرصة لمن أكرمه الله عَزَّوَجَلَّ ومنَّ عليه بالمحافظة علىٰ الصَّلاة، وتحركت نفسه للطَّاعة والعبادة وذاق حلاوتها في شهر رمضان أن يُمضي ذلك في حياته كُلّها ليستفيد من شهره الكريم، ومن موسمه المُبارك ليُحقق بذلك المعنىٰ الذي في الآيةِ الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[البقرة] ، أيّ لعلَّكم تتقون الله عَزَّوَجَلَّ من خلال ما تقومون به من طاعة وتؤدونه من عبادة في هذا الموسم الكريم.

وعلىٰ هٰذا -أيُّها الإخوة- فالصّيام مدرسة، مدرسةٌ تربويةٌ مباركة يتخرَّج منها المؤمنون المتَّقون، ويتزوّد فيها المؤمنون بأعظم زاد، زاد يمضي معهم في حياتهم كلِّها وفي أيَّامهم جميعها، ومدرسة الصّيام لا يستفيد منها كثيرٌ من النّاس تمضي عليهم هٰذه المدرسة وهم يتعايشون معها تعايش الطَّالب البليد في مدرسته يتخرّج ولا يستفيد، بينما المؤمن المجِدّ المؤمن الحريص يدخل هٰذه المدرسة المباركة فيأخذ منها دروسًا تربويةً إيمانيَّةً علميةً تمضِي معه في حياتها كلها.

وأضربُ لكم مِثالًا من دروس رمضان إضافة إلىٰ ما مضىٰ معنا من دروس، الذي ابتُلي بشُرب الدُّخان ويتناول هٰذا المُضر الخبيث الذي لا فائدة فيه البتة، تجده في شهر رمضان من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس يمتنع عنه تمامًا ويبتعد عنه تمام الابتعاد؛ فهٰذا الابتعاد عنه من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشَّمس مع أنه في مثل هٰذا الوقت ربّما أنه اعتاد أن يشرب من هٰذا الدّخان الشيء الكثير؛ لٰكنه ممتنع

ومبتعد عنه تمام الابتعاد، هـٰذا الابتعاد والامتناع منه في نهار رمضان هو في الحقيقة فرصة لـه ليمتنـع عنـه أبد الآبدين ولينتهي عنه تمام الانتهاء، وكثيرٌ ممن يتعاطَون الدّخان إذا نُصِحوا يعتـذر عـن ذلـك بأنـه لا يستطيع تركه، أليس هو قد تركه في شهر رمضان طيلة أيامِ هـٰذا الشهر الفضـيل مـن طلـوع الشَّـمسِ إلـىٰ غروبها؟! فهذا درسٌ له يفيده فائدة عظيمة ألا وهي أنّ باستطاعته ووسعه أن يترك هـٰذا الـدُّخان أبـدًا وأن لا يتعاطاه مطلقا؛ فيستفيد من هذا الشَّهر الكريم العظـيم هــٰذا الـدَّرس البـالغ، ودروس رمضـان كثيـرة والفوائد التي تُتلقَّىٰ فيه عديدةٌ لا تُحصىٰ.

وعلىٰ ذكر الدّخان تعجبُ من بعض النّاس غاية العجب عنـدما يُفطـرون علـىٰ الـدُّخان، يصـوم عـن المباحات طاعة لله فإذا أذّن المؤذّن بأذان المغرب وفي ذلك إيذانٌ بالإفطـار يفطـر علـىٰ الـدخان، يفطـر علىٰ معصية الله، ولهـٰذا بعضهم يأتي يصلّي المغرب ويؤذيك برائحة الدُّخان، حتـىٰ إن بعضـهم يتمـادىٰ في غيّه ويطفئ سجارته عند باب المسجد، يعني يخرج من بيته وهو يشرب هذا الدخان إلىٰ أن يصل باب المسجد ثم يدخل المسجد برائحته الكريهة؛ فيؤذي المصلِّين ويؤذي الملائكة ويـؤذي عبـاد الله تَبَـارَكَ وَتَعَالَىٰ في أماكن العبادة والطَّاعة، فتعجب من مثل هـٰذا الشَّخص النهار كله صـائم لا يأكـل ولا يشـرب ولا يطعم طاعة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وما أن يُؤَذِّن المؤذن إلا وهو يبـادر لهـذه المعصـية، وشـرب الـدخان معصية وذنب وإثم وحرام ويُعاقَب علىٰ شربه إذا شـربه ويحاسـبه الله تَبَـارَكَ وَتَعَـالَىٰ علـىٰ ذلـك وأدلـة تحريمه كثيرة جدا بسطها العلماء، ولهـٰذا تعجب غاية العجب وأيضًا تتساءل كيف لـم يسـتفد هـذا مـن صيامه طول اليوم؟ من طلوع الفجر إلىٰ غـروب الشَّـمس وهـو لا يأكـل ولا يشـرب طاعـة لله، وإذا أذّن المؤذن للمغرب بادر إلىٰ شرب هـٰذا الدخان الذي شربه معصية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فلهذا فرصة للمدخن وغيره لكل من عنده إسرافٌ أو تقصيرٌ أو إضاعة أو تفريط فرصة لـه أن يسـتفيد من هذا الموسم الكريم ومن هذا الشَّهر المبارك ليستفيد من طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن الأمور المهمة التي ننبِّه إليها الإخوة العناية بكتاب الله جلَّ وعلا، فمن خصائص رمضان وميِّزاته أنَّ القرآن أُنزل فيه كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة:١٨٥].

فشهر رمضان فيه أُنزِل القرآن، وكان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يـأتي النَّبـي ﷺ في شـهر رمضـان يدارسـه القـرآن، فيعرِض النَّبيﷺ عليه القرآن يقرؤه عليه، فالمسلم ينبغي عليه أن يعتني بكتـاب الله عَزَّ وَجَلَّ في هــٰذا الشَّـهر

العظيم الذي هو شهر القرآن، وكان بعض السَّلف إذا دخل شهر رمضان ترك أكثر أعماله وقال: (إنمّا هو قراءة القرآن وإطعام الطَّعام)، ويقبلون علىٰ القرآن إقبالًا عظيمًا، فمنهم من يختم في رمضان كل يوم، ومنهم من يختم كلَّ ثلاثة أيام، ومنهم من يختم كل أسبوع، ومنهم من يختم كل عشرة أيام، ومنهم من يختم مرَّة واحدة، ومن النّاس ربمّا أنه يدخل الشَّهر ويخرج وما فتح المصحف إلا مرَّة أو مرَّتين أو ثلاث، لـٰكنه مُقبِل علىٰ أمورٍ أخرىٰ ينظر إليها ويشاهدها واستولتْ علىٰ قلبه، فرمضان فرصة للمسلم ليقرأ فيها كتاب الله وليذكر الله وليحافظ علىٰ طاعة الله جلَّ وعلا.

فهـٰذه -أيُّها الإخوة- كلمة أسأل الله-جلَّ وعلا- أن ينفعني وإيَّاكم بها، وأن يكتبها في موازين حسناتنا جميعًا، وأن يجعلها حجَّةً لنا لا حجَّة علينا، وأن يُبلِّغنا وإيَّاكُم هـٰذا الشَّهر العظيم، وأن يعيننا وإيَّاكم فيه علىٰ الصِّيام والقيام، وأن يجعل أعمالنا فيه وفي كل أوقاتنا له جلَّ وعلا خالصة ولسنة نبيِّهﷺموافقة، وأن يُصلِح لنا ولكم ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يُصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، وأن يجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموت راحة لنا من كل شر، إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خير مسؤول وخير مرجو.

واللهُ تَعَالَىٰ أعلم، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

۞۞۞۞